

ظاهرة الخطأ اللغوي في العربية: بحث فيما وراء الحدود اللسانية

The Linguistic Error in Arabic: Research beyond Linguistic Borders

مُحَمَّد العيد جامعي¹، نوارى سعودي²Mohamed Laid DJAMAI¹, Nouari SAOUDI²¹ محبر المقاربة التداولية واستراتيجيات الخطاب جامعة مُحَمَّد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)، mo.djamai@univ-setif2.dz² محبر المقاربة التداولية واستراتيجيات الخطاب جامعة مُحَمَّد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)، n.saoudi1@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2024/12/17

تاريخ القبول: 2024/05/02

تاريخ الاستلام: 2024/03/01

ملخص:

انبثق تصوّرنا عن موضوعنا هذا من ثنايا بحثنا في موضوع موازٍ عن إشكاليات الترجمة وما صاحبها من مظاهر الهيمنة اللسانية الغربية على العربية، وهذا ما قادنا إلى اكتشاف أبعاد غير لسانية جديدة لطالما ظلّت مغفلة لكنّها تلعب دورا بارزا في كل ما له علاقة بالدراسات اللسانية عامة، وعليه يهدف هذا البحث إلى لفت أنظار الباحثين في مجال اللسانيات نحو أهمية العوامل الحضارية في تشخيص ظاهرة الخطأ اللغوي في العربية. إذ تكمن أهميته في أنّه يتناول موضوع الخطأ اللغوي من حيث أنّه ظاهرة اجتماعية، في علاقته بالواقع الحضاري لمستعمليه، وفي إطار تكاملية أركان الحضارة، وتعدّد أبعاد الظواهر. حيث توصل إلى جملة نتائج أهمّها: قصور البعد اللساني في تشخيص الظاهرة والتكفل بها، والذي يبقى في حاجة إلى مجالات علمية أخرى، كالثقافة والهوية، والعلوم التكنولوجية والصناعية.

كلمات مفتاحية: الخطأ اللغوي، ما وراء اللسانيات، التكامل الحضاري، التكامل الثقافي، تكامل المعرفة

Abstract:

Our perception of this topic has emerged from our research into a parallel theme of translation problems and the accompanying manifestations of Western linguistic hegemony over Arabic. This is what led us to discover new non-linguistic dimensions to which we had not paid attention, but they play a leading role in everything related to linguistic studies in general. This research aims to draw the attention of researchers in the field of linguistics to the importance of cultural factors in diagnosing the phenomenon of linguistic error in Arabic. It has obtained a number of results, the most important of which are: the lack of linguistic dimension in the diagnosis and treatment of the phenomenon, which still needs other scientific areas, such as culture and identity, and science technological and industrial.

Keywords: Linguistic Error; Meta-linguistics; Cultural Integration; Cultural Integration; Knowledge Integration

1. مقدمة :

تحتاج اللسانيات بوصفها "ظاهرة اجتماعية" بتعبير رائد اللسانيات العامة السويسري فرديناند دي سوسير (Ferdinand De Saussure 1857_1913) إلى تجاوز البعد اللساني، وصير أغوار كلِّ الأبعاد الاجتماعية الأخرى المشكَّلة لأركان حضارة تلك الجماعة البشرية، ذلك أنَّ الظواهر الاجتماعية على اختلاف أبعادها والمجالات المعرفية التي تختص بدراستها تتفاعل فيما بينها، تُؤثِّر وتُتأثَّر ببعضها البعض، وتنعكس الواحدة منها في الأخرى في علاقة تكاملية-تكميلية.

لقد دفع الشعور بقصور التوجُّه اللساني النبوي الذي حصر اللغة داخل حدود أنظمتها المعروفة (الصوتية، النحوية، الصرفية، والمعجمية) باللسانيين إلى تجاوزه، واقتحام حقول معرفية أخرى للبحث عمَّا من شأنه تقديم إجابات لذلك النقص الذي بدَّاه دي سوسير حين سار على حُطى عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم (David Émile Durkheim 1858-1917) معتبراً اللغة ظاهرة اجتماعية، ثمَّ نَقَضَهُ حين اتخذ من المنهج الوصفي النبوي منهجاً لدراستها، من منطلق أنَّ البنى اللغوية مكتفية بذاتها، وأقصى بذلك كلَّ السياقات الاجتماعية التي تتفاعل مع الظاهرة اللسانية، والتي لا يمكن سلخها منها، فأدَّى ذلك إلى ظهور المدارس اللسانية الغربية على اختلاف توجهاتها وفلسفاتها، والتي أعادت الاعتبار أخيراً لدور السياق والأبعاد الاجتماعية وعلاقتها الحتمية باللغة.

من جهةٍ أخرى، تعالت صيحات الفزع والتنبيه من تفتُّي ظاهرة الخطأ اللغوي وتناميها في العربية بين جميع الشرائح الاجتماعية لمستعمليها، وخاصةً بين تلاميذ مؤسسات الأطوار التربوية في الجزائر، والذي تجاوز حدودها إلى مؤسسات التعليم العالي في الجامعات بين الطلبة والأساتذة والإداريين على حدِّ السواء، إذ لا تكاد تخلو أيُّ وثيقة إدارية وكلِّ بحثٍ جامعيٍّ من الكثير من الأخطاء اللغوية، حيث يكفي اختيار أيٍّ منها، لتقع على ما تقع من الأخطاء في الصفحة الواحدة، أو في كلِّ صفحات البحوث والوثائق، ولتحكم بعدها على واقع اللغة العربية المكتوبة، أو الشفهية في لغة حديث أبناء المجتمعات الجزائرية والعربية على حدِّ السواء، والتي بلغت حدَّ شيوع الخطأ وندرة الصواب في خطابات خاصة أهل اللغة قبل عوامهم، وفي الوثائق الحكومية الرسمية (ينظر: داغر، 2012، صفحة 12) التي يفترض أن تكون آخر حصون اللغة وسدودها المنيعة، غير أن هذه الظاهرة التي تجاوزت حدود الثلاثة عشر (13) قرناً من الزمن على ظهورها، وعلى بدء جهود العلماء في التصدي لها ولتطوُّرها دون جدوى تمنَّعت من جهود جميع أجيالها، وهي جهود ارتكزت بالأساس على ضبط قواعد اللغة العربية حسب معاييرها في زمن التدوين وما قبله، والتنبيه على الأخطاء الأكثر شيوعاً وتقويمها، وبناءً عليه: إلى أيِّ مدى يمكن للعوامل الحضارية أن تسهم في تشخيص تفتُّي ظاهرة الخطأ اللغوي في اللغة العربية؟ وكيف يمكن الاستفادة منها في عملية التكفل بهذه الظاهرة؟

للإجابة على هذين التساؤلين، تُقدِّم هذه الدراسة على تناول العناصر التالية:

– اللغة العربية وسؤال الوعي الجماعي الثقافي العربي.

- الواقع الحضاريّ لعربيّة عصر الاحتجاج والتدوين.
- الواقع الحضاريّ العربيّ المعاصر؛ الخطأ اللغويّ وإشكاليّة التخلف العلميّ.
- نموذج مقترح لاستدراك بؤر الهيمنة اللغويّة الأعجميّة على اللّغة العربيّة، من خلال تصحيح الألفاظ الأعجميّة الواردة في هذا البحث.

ومنه تنبع هذه الدراسة الهادفة إلى اقتفاء أثر الأسباب غير اللسانية الكامنة وراء تفشّي ظاهرة الخطأ اللغويّ في العربيّة من خلال لفت أنظار الباحثين إليها من هذين النقطتين السابقتين؛ تكاملية الحقول المعرفيّة المكوّنة لأركان الحضارة فيما بينها، وأهمّيّتها في تشخيص وتقويم ظاهرة الخطأ اللغويّ من جهة، واللغة بوصفها ظاهرة اجتماعيّة، في علاقتها الوطيدة بمستعملها من جهة أخرى.

ولذلك تكمن أهميّة هذه الدراسة في أنّها تقدّم تصوّرًا جديدًا في تناول هذا الموضوع، من خلال تجاوز طرح الموضوع في إطار الثنائيّة القديمة؛ ثنائيّة الخطأ والصواب، إلى تسليط الضوء على العوامل الحضاريّة للمجتمع العربيّ كلّها، وأخذها أخذًا تكامليًا غير قابلٍ للتجزئة، ولا سيّما البعدين الثقافيّ والعلميّ التكنولوجيّ، اللّذين تمّ اختيارهما نماذج للأبعاد الحضاريّة غير اللسانية الكثيرة، والتي تلعب دورًا محوريًا في تفشّي ظاهرة الخطأ اللغويّ، وبالتالي فإنّ إهمالها يؤدّي إلى قصورٍ حتميٍّ في تشخيص وفهم أسباب الظاهرة بصورة أدقّ، وقصورٍ التّصوّر ينعكس حتماً في قلّة فعاليّة ونجاعة عمليّة التّكفّل بها.

ولتحقيق تصوّرٍ شاملٍ عن دور هذين البعدين غير اللسانيّين في تشخيص ظاهرة الخطأ اللغويّ، وعمّا إذا كان الحقل اللّسانيّ وحده كافياً لفهمها وتجاوزها، أو عما إذا كانت هنالك علاقة تراپيئة بينهما أم لا، نعود إلى زمن العزّ الحضاريّ العربيّ، للنظر فيه وفي الواقع الحضاريّ العربيّ المعاصر، واقع الانكسار والتفكّك وما بعده، سعيًا إلى تبيّن ما إذا كانت تلك النهضة وتلك الثورة العلميّة اللّسانية الشاخنة التي قدّمتها اللّسانيّات للعربيّة آنذاك، والتي شاعت إلى كلّ بقاع العالم، أكانت معزولة عن مجالات الحضارة الأخرى، أم كانت ثمرة نهضة حضاريّة متكاملة، شاملة لكلّ جوانب ومجالات الحضارة؛ الثقافيّة، والعلميّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة، وحتىّ الدينيّة... وبالتالي كانت ثمرة تفاعلٍ شاملٍ لكلّ نواحي الحياة العربيّة.

ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف تمّ اختيار المنهج الوصفيّ التحليليّ لخصوصيّاته المناسبة لاقتفاء أثر هذه الظاهرة اللغويّة، وتتبع مسار تطوُّرها، وتحليل علاقتها بأبعادها الحضاريّة.

2. اللغة العربيّة وسؤال الوعي الجماعيّ الثقافيّ العربيّ:

تُجمع المصادر التاريخيّة واللغويّة العربيّة التي يمكن فهم تاريخ الحضارة العربيّة في ضوءها -والتي يعود أقدمها إلى مائة وخمسين (150) سنة قبل البعثة المحمّديّة الإسلاميّة- على أنّ الحضارة العربيّة منذ نشأتها كانت حضارة أخلاقٍ ومروءةٍ وأنفة، وبخاصّة حضارة غيرّة على الحسب والنسب والأرض والعرض والقيم والقُدوة، حتّى أنّها كانت سببًا في عزوف

الكثيرين من أبنائها عن قبول دين الله الجديد، باعتباره ديناً لم يُتوارث عن آبائهم وأجدادهم الذين يتخذونهم قدوةً، ويؤمنون عنهم حدود هويتهم وثقافتهم، وفي هذا يقول الله تعالى عنهم في كتابه: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (سورة الزخرف، الآيتان 22-23)، وهذا ما يشير إلى دور المرجعية في تكوين الفرد العربي وقناعاته. أما بعدها فقد مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخلاق العرب في غير موضع بقوله في رواية أبي هريرة: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ﴾ وفي رواية: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ﴾ (الحديث رقم: 8952، بلا تاريخ)؛ أي أنّ الثقافة العربية كانت ثقافةً إنسانيةً أخلاقيةً راقيةً، ما نزل الإسلام فيها إلّا ليختتم لمساحتها الإنسانية المتوارثة من جيلٍ إلى جيلٍ.

فالثقافة على اختلاف التعريفات المقدمة لها، والتوجهات التي تناولتها على أنّها حالة من الرقي الفكري والعلمي على المستوى الفرديّ، أو على المستوى الجمعيّ، أو تناولتها من منظورٍ فنيّ وفكريّ مرتبطٍ بالمؤسسات الفنية للمجتمعات كالمسرح والمكتبة ودور الاحتفالات وقاعات العرض وغيرها، وما يُمارَس فيها من أنشطة، أو أنّها ما يُقارَن فيها بين مجتمعين مختلفين من حيث درجة تطوّرهم وراقيّهم العلميّ، كالفرق بين المجتمعات العربية والأوروبية، فهي كما عرّفتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو UNESCO) إحدى مؤسسات هيئة الأمم المتحدة، التابعة لسلطة الولايات المتحدة الأمريكية، رائدة النظام العالمي الجديد المعروف بالعولمة، بأنّها "مجموع السمات المميّزة، الروحية والمادية، الفكرية والعاطفية، التي تميّز مجتمع أو فئة اجتماعية ما. والتي تجمع إضافة إلى الفنون والآداب، أنماط الحياة، الحقوق الأساسية للإنسان، منظومة القيم، التقاليد والمعتقدات" (هولبورن، 2010، الصفحات 7-8)، وهي غالباً مرتبطة بما يُتوارث جيلاً بعد جيل، من موروّثات لا ماديّة كالعادات، والتقاليد، والأعراف، وطرق إحياء المناسبات، وأنواع المعتقدات، وأزياء اللباس، وطرق تسيير الشؤون الاجتماعية، والأناشيد، والأغاني، ولغة التواصل وغيرها...

أمّا الهوية فهي "مجموع السمات المميزة والدائمة، وهي ما يمكن للإنسان أن يصف به الآخرين وما أصف فيه نفسي، عندما أتأمل بذاتي بصورة مكثّفة وأشكّل صورة ذاتي" (كوزن، 2010، صفحة 93)، وهي غالباً ما تظل "لا شعورية أو في أقصى تقدير فإنّها تنبّه عن نفسها عبر مزاجات غامضة، وأحياناً تصبح الهوية مدركة لنا بصورة أقرب للحالة الانفعالية: حين يشعر المرء بالتعب أو بالحزن أو بالتقلب، أو يكون متوتراً أو محمراً، راض عن نفسه أو فخوراً أو متفائلاً" (كوزن، 2010، صفحة 95). ومن مصادرها القومية والدين والعرق والجنس والفئة والطبقة والجغرافيا والمستوى العلمي وغيرها من الثوابت التي يتخذها كل فرد أسساً يرسم بها حدود ذاته.

فمن تعريفهما يتبيّن نوعٌ من الارتباط الوثيق بينهما، وبين مفهوم المجتمع لدرجة التداخل، إذ ترسم الثقافة هوية الفرد في حين تساهم الهوية في تحديد الأنماط الثقافية المختلفة، وكلّهما انعكاس للآخر، فترسم صورة المجتمع في خيال الآخر انطلاقاً من هويته وثقافته، ويتربّى أفراد المجتمع وفق مبادئ ثقافية وهويّانية، ليسهم أبنائها في مراحل نضجهم في تطويرها وتكييفها حسب ظروف الزمان والمكان والحاجيات، وبالتالي يساهمون في صقل مفاهيمها ومبادئها.

أما عن دورهما المحوريّ في المجتمع وكلّ مظاهره، فإنّ العلاقة طردية بين الهوية وبقية نواحي الحياة الإنسانية، فكلّما زاد وعي الفرد والمجتمع بذاته وهويّته وثقافته ارتقت أركان حضارته، والعكس بالعكس، إذ يرى بارسنس (Telcott 1902-1979) أنّ "معظم أفراد المجتمع يجب أن يشتركوا في معظم المظاهر لثقافة معيّنة إذا أُريد للمجتمع أن يدوم وأن يعمل بانتظام" (هولبورن، 2010، صفحة 23)، في حين يرى الباحث خليل مسيهر أنّ "افتقار الثبات في تحديد عناصر الهوية قد يكون من أهم أسباب الوهن والشرذمة لجسم الأمة العربية، بتعبير أدق، يمكن أن نقول إنّ فقدان مقوّمات الهوية المتّفق عليها بشكل عميق قد سمح للاتجاهات التشرذمية للحياة العربية القديمة والحديثة، أن تتغلّب على طموحات تحقيق التضامن والوحدة والتكامل... وحماية مصالحنا الشرعية وحرمة أراضينا" (العاني، 2009، صفحة 37)، فهي إذن ذات بُعدٍ سياسيٍّ مُخطّطٍ ومُنهجٍ (استراتيجيٍّ) مُرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأمن القوميّ العربيّ.

لقد لعب الدين الإسلاميّ دوراً كبيراً في ضبط حدود الهوية وأبعادها ومفاهيمها الإنسانية السامية، والتي تمحورت حول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَإِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ ۖ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَأَتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية 157)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (سورة الحشر، الآية 7)، وما في منحاهما من آي وهي كثيرة، إذ إنّه لا يمكن الحديث عن مفاهيم الهوية والثقافة العربيّة دون الحديث عن الدين كأبرز مقوماتها، فهو عموماً "قوام الأمم وبه علاجها وفيه سعادتها، وعليه مدارها، وفي عقائده عماد لبناء هيئتها الاجتماعية، وهو أساس محكم لمدينتها" (العاني، 2009، صفحة 18). وهو يشكّل معياراً أساساً لا يمكن فهمهما بمعزل عنه، وذلك لقيمتيه ومركزيته بين أفراد المجتمع وبخاصّة المجتمعات العربيّة الإسلاميّة، وفي جميع نواحي حياتهم، في عقود واحتفالات الزواج، والولادة والختان والقوامة الذكوريّة، وتقاليده إحياء المناسبات وغيرها كثير، بل يكاد يشمل أغلب أفكارهم وقناعاتهم وتصرفاتهم؛ فلقد حرّم الله تعالى مخالفة تعاليم دينه، وسنة رسوله المصطفى -صلى الله عليه وسلّم- تحريماً قطعياً، ويبرز هذا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء، الآية 115)، فالذي أحلّ لعباده الطيبات حين أمرهم بإتباع سنن وهدي المصطفى -صلى الله عليه وسلّم-، ومنها التكافل والتآزر والتشاور والتمسك بهويّتهم الإسلاميّة وبلغتهم العربيّة، هو الذي حرّم عليهم خبائث الانشقاق والاختلاف وابتداع السبل المؤدّية للفرقة. ولو كانت الوحدة من الخبائث والفرقة من الطيبات لكان الله عزّ وجلّ أولى بتحريمها، وسنّ مخالفتها، لكنّها مدعاة للهلاك والتصدّع والانحيار، لقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 103).

لقد أصبح الدين الإسلامي بمصادره المتمثلة في القرآن الكريم، وسنة نبيه الشريف بعد اكتمالهما مرجعية لغوية، ومصدر من مصادر التشريع اللغوي العربي، وحصن منيع للغة العربية يحفظها ويصونها، ويقوي أركان ملكتها، ويزيد من فصاحتها أهلها، الذين كان اهتمامهم بهما يزيد عن حفظ متونهما إلى حفظ تفاسيرهما، وسيقات نزلهما، بدرجات متفاوتة من شخص لآخر، ما انعكس في العصور الأولى على أهلها بفصاحة وبلاغة وبيان وخطابة لا مثيل لها، لكن الأمر لم يبق على حاله، وخاصة بعد سقوط الدولة العباسية، ودخول المجتمعات العربية في دوامة صراع وحروب ومجاعات وأمراض وأوبئة... فاضطربت معها الملكة اللغوية العربية في ظل حملة مدروسة لطمس معالم هويتها، ليسهل بالتالي ترويضها، والحديث عن هذا الموضوع في كتب التاريخ كثير لا سيما في تاريخ الجزائر المعاصرة وما عانته مع الاستعمار الفرنسي، الذي أدرك عواقب تنفيذ مشاريعه المتعلقة بالمرجعية الدينية وأصولها، وبخاصة القرآن الكريم، ومن هذه النقطة أصبح الدين الإسلامي اليوم غرضاً لحملة تشويه شرسة تقودها القوى الغربية، من خلال وسائل الإعلام، وكل استراتيجياته المتمثلة في الدعاية الإعلامية المعرضة لرسم الصور النمطية، والأحكام الجاهزة المشوهة لصورة العرب والعربي والإسلام وأبنائه، وهي حملة ليس هدفها الإسلام بعينه، وإنما جماعته البشرية التي يشكل بالنسبة لها آخر حصن منيع، خاصة في ظل تردّي الأوضاع العلمية والتكنولوجية، والعسكرية، في نفس الوقت الذي تنخر فيه بكل مقومات الحضارة، من الأرض والمواد الأولية، وهو ما يسيل لعاب هذه القوى الغربية القائدة لحملة التشويه هذه. لذا فإن التوعية والحشد الهوياتي والثقافي للمجتمعات العربية بات رهانها الأساس في المستقبل، ومن هذه الرؤيا، كانت نقطة بداية قنوات أحد رواد الإصلاح العربي والجزائري المرحوم عبد الحميد بن باديس.

إنه لا يمكن بأي حال من الأحوال عزل اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية عن مستعملها، وعن مدى ارتباطهم بهويتهم وثقافتهم ووعيهم بها، إذ إن الحفاظ على معالم هوية اللغة العربية من الزيغ واللحن ومن شيوع ظاهرة الخطأ اللغوي بين أبنائها كمؤشر عن نقص الوعي بالهوية والثقافة وبمخاطره المصاحبة، فمن الطبيعي أن اللغة "في تغير دائم. تتغير قليلاً مع الموسم، بتأثير الأخطاء، والخرق والطيش، تتغير أيضاً من خلال الأساليب الجديدة، وأنماط التعبير التي تبحث عن طرق لصياغتها، تماماً كما أن الفرنسية في أوروبا عرضة لضغط الانجليزية، وتتأثر جميع اللغات الحديثة بأنماط التعبير الرياضية، من خلال لغة التكنولوجيا والكمبيوتر وغير ذلك" (ريكور، 1999، الصفحات 234-235)، إلا أن درجة الوعي الهوياتي والثقافي العربي، وما تنعكس به على الأفراد من دافعية نحو الحرص عليهما، وما يلحقه إذاً من اهتمام بثوابته ومقوماته وبخاصة الدينية ومتونها التأصيلية والحفاظة لها، إن لم تمنع ظواهر التحول والتطور اللغوي المذكورة هذه في قول بول ريكور، فإنها تقلل حتماً من حدتها، وتبقيها في مأمن من وفرة الأسباب المؤدية للاندثار.

3. الواقع الحضاريّ العربيّ عصر الاحتجاج والتدوين:

من غير تلك الإشارات التاريخية المعزولة عن بعض جوانب القصور والهشاشة في الحضارة العباسية، وبخاصة تلك الواردة في المصادر الشعبية كتيارٍ عنصريٍّ صادرٍ بصورةٍ أساسيةٍ من التخوم الأعجمية ولا سيما الفارسية الحاقدة على

الحضارة والأمة العربية، التي كانت سبباً مباشراً في انكسار شوكتها، ونهاية أطماعها التوسعية إلى الغرب، والتي تُغني معرفة ماهيتها وأسباب تركيزها على الجوانب السلبية والحوادث النادرة والممارسات والسقطات المعزولة في تاريخ الدولة العربية عن الأخذ بما كمصادر تاريخية، -من غيرها- فإنه لم يقع من يد المؤرخين ما ينقُض حقيقة الريادة الحضارية الشاملة في زمنها، والذي أنتجته ثقافة حب العلم والمعرفة، وتقديم العلماء والباحثين، التي تعود إلى تعاليم الديانة الإسلامية السمحة عن ضرورة الاهتمام بالعلم، والتي سبقت هذه القفزة، وحوّلت البلاد العربية من صحاري قفارٍ إلى مهد حضارةٍ نقضت أركان أعنى الحضارات السائدة آنذاك، وعلى رأسها الحضارتان الرومانية والفارسية في نفس الوقت، حيث انتشرت نزعة تقديم العلم والعلماء هذه سواءً من طرف الحكّام أو من طرف العامة، تماشياً مع تعاليم الإسلام؛ فقد "كان الخليفة معاوية (رضي الله عنه) يُشجّع الولاة والعلماء وأبناء الأمة على إيجاد نخبة ثقافية حضارية، وشهد عصره نخبةً في التفسير وعلوم القرآن والفقه والعقيدة" (عبيد، 2017، صفحة 35)، كما حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز "على تقريب العلماء و جعلهم بطانته للاستعانة بهم لتنفيذ مشروعه الإصلاحية" (عبيد، 2017، صفحة 43).

فكانت خطوة العلماء هذه بمثابة شُعلةٍ انعكست هي الأخرى بالنفع على البلاد العربية، ففي بلاد الشام مثلاً "وخلال العصر العباسي الثاني اتخذ بعض العلماء من منازلهم أماكن للتعليم واستقبلوا فيها تلاميذهم وعقدوا حلقات العلم فيها، فقد أدّت منازل العلماء دوراً كبيراً في نشر العلم، حيث كانت ملتقى رجال العلم والأدب [...] ولم تقتصر مجالس العلم في منازل العلماء على علم معين بل شملت معظم العلوم الدينية وعلوم اللغة والأدب والعلوم التطبيقية كالطب وغيرها من العلوم" (البطوش، 2015، الصفحات 29-30).

في الوقت ذاته، انتعشت حركة القراءة والتأليف، وشاعت ثقافة المكتبات ودكاكين الوراقين التي "كانت مجالس علم إضافة إلى أن وظيفة الوراقين النسخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكُتبية والدواوين [...] ولم تقتصر على بيع الكتب والاتجار فيها وإنما أسهمت في حركة التعليم حيث كان العلماء يجلسون وحوّلهم الطلاب يكتبون عنهم فلم يكن بائعو الكتب تجاراً ينشدون الربح وإنما كانوا في أغلب الأحيان أدباء ذوي ثقافة يسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة التي كانت تتيح لهم القراءة والاطلاع وتجذب لدكاكينهم العلماء والأدباء، فقد كانت دكاكين الوراقين مجالس العلماء يتبادلون فيها العلوم المختلفة، كل في العلم الذي تخصص فيه، وكان بائعو الكتب في الكثير الغالب أدباء ذوي ثقافة، فقد كان ابن النديم صاحب "الفهرست" وياقوت الحموي صاحب "معجم الأدباء" و "معجم البلدان" كانا وراقين" (البطوش، 2015، الصفحات 30-31).

أما في المجالات الصناعية والزراعية، فقد عمل الحكّام على التخفيف من "المظالم الاقتصادية واهتموا بالزراعة وحقّقوا عن المزارع الكثير من الأعباء الاقتصادية وتحرير العمال ونتيجة ذلك فاضت خزائن الدولة بالأموال القادمة [...] وأما الصناعة ونسبة لاهتمام الناس بالملايس و الثياب تعد صناعتها من أرقى الصناعات في ذلك العصر وكان حسن اللباس وتغطية حيطان المنازل بالسستائر وفرش أرضها بالبسط من اهتمامات أهل ذلك العصر وكانت تقسم إلى ثلاث

أقسام منها الستائر المعلقة على الحيطان والبسط التي تفرش على أرض الغرف والصحون والممرات [...] والنمارق والمقاعد وغيرها من أنواع الوسائد، ومن الصناعات أيضا صناعة الزجاج التي عمل بها بعض المشاهير في ذلك العصر" (عبيد، 2017، الصفحات 114-116)، وتطوّرت الصناعات الحربية "فحسنوا المجانيق وتقدمت صناعة السفن واشتهرت حران بصناعة آلات الفلك كالإسطرلاب وصناعة الموازين الصحيحة واشتهرت السبح الفاخرة ببيت المقدس كما اشتهرت عمان والبصرة والشام بصناعة المربيات والفواكه المحفوظة وتمليح السمك أما عن التعدين وكان الذهب والفضة، والحديد، والرصاص، والرُّبْق، والأثمد [كحل العين]، والكبريت، وحجر الفتيلة (الأسبستوس) والرخام والحجارة الكريمة تستخرج كلها من باطن الأرض وكان الغواصون يستخرجون اللؤلؤ من الخليج الفارسي واستخدموا النفط والقار في بعض أعمالهم" (عبيد، 2017، الصفحات 117-118).

وعليه يتهيأ لنا من خلال هذه اللوحة التاريخية عن واقع البحث العلميّ والمعرفيّ (أو التكنولوجي) كما يُعرف اليوم أنّ السياق التاريخي لقفزة الدرس اللسانيّ العربيّ قد كان سيّاقاً رائداً وسبقاً، في بيئة حاضنة علمٍ وعلماء وباحثين، لم تقتصر على هذه المجالات التي ركّزنا عليها لخصوصيّة هذا المقام وحسب، وإنما شملت كل المجالات السياسيّة والدينيّة، فراجت علوم الفلك والطبّ والرياضيّات وعلوم الكلام والفلسفة، في صِبْغَةٍ تكاملية بين الحقول المعرفيّة، والعوامل المهيّئة لظهور الحضارة؛ إذ إنّ العامل المشترك بين قيام كلّ الحضارات، ونهضة كلّ الأمم يعود إلى تكاملية جميع جوانب الدولة، تتفاعل مع بعضها وتدفع ببعضها البعض إلى الأمام، وهو ما لا يخفى اليوم على الصعيد العالميّ، والعكس بالعكس؛ فإنّ العلاقة طردية بين جوانب ضعف أو قوّة أركان الحضارة، ومدى تطوّرها وقوّتها، فغالبا ما تجد كلّ البلدان المتقدّمة رائدة في كلّ المجالات العلميّة والفنيّة، في مقابل فشل كلّ البلدان المتخلّفة في أغلب مجالاتها أيضا، وهذا لأنّ الحضارة بُنيان مرصوص؛ إمّا أن يشدّ، وإمّا أن يهدّ بعضه بعضاً.

بعد عرض هذه اللوحة عن الواقع الحضاريّ في زمن العزّ العربيّ، نعود إلى تشخيص بعض جوانب الواقع الحضاريّ العربيّ المعاصر، وموقعه من السياق الحضاريّ العالميّ، لاستجلاء موقع ظاهرة الخطأ اللغويّ من هذا الواقع، ومحاولة معرفة ما إذا كان بالإمكان تجاوزها، وعزلها عن باقي مناحي الحياة والحضارة.

4. الواقع الحضاري العربي المعاصر؛ الخطأ اللغويّ وإشكاليّة التخلف العلميّ:

مع بداية انكسار شوكة الدولة العبّاسيّة، دولة الخلافة العربيّة الإسلاميّة التي ضمّت تحت رايّتها كلّ البقاع التي تدين بالإسلام، والتي بلغت من حدود الهند العربيّة شرقاً إلى أقصى شمال غرب إفريقيا غرباً، هذا الانكسار الذي بدأ تدريجياً يُعيد كلّ ما أنتجته تلك الحضارة إلى العدم، حيث يُشير المؤرّخون إلى أنّ حالة الانكسار السياسيّ أو بالأحرى العسكريّ هذه قد تبعه انحطاطٌ شاملٌ، بدأ تقريباً سنة ألفٍ ومائتين وثمانية وخمسين (1258) ميلاديّة، تاريخ سقوط مدينة بغداد عاصمة الخلافة العبّاسيّة في يد المغول، وما فعلوه بها من عبثٍ في دُور العلم والمكاتب، ودُور المال والذخائر العسكريّة، وفي أرواح علماء الأُمّة الذين كانوا هدفهم الأول، وما تبعه بعدها من انقلابٍ للموازين مع بداية التعافي في القارّة الأوربيّة، والذي صاحب ميلاد عصر الأنوار، وأنتج الثورة الصناعيّة، والنهضة الأوربيّة الشاملة.

إنّ انقلاب هذه الموازين قد جرّ في مجراه كلّ ما تبقي من أسباب القوة، مع تراجع شوكة الدولة العثمانية لصالح القوى العسكرية الأوروبية، والتي أصبحت البلاد العربية فيها محطّ احتلالٍ عسكريٍّ استعماريٍّ نفّض منها كلّ ذرّة أملٍ في إعادة التعافي، وما صاحبه من ويلاتٍ ومجازرٍ إبادةٍ جماعيةٍ لم يسلم منها شبرٌ واحدٌ من تراب أهل اللغة العربية.

فمنذ تاريخ سقوط بغداد، وحتى بداية انتشار موجات التحرّر في العالم، التي قدّمت فيها الجزائر درساً رائعاً في إرادة البقاء والصمود، وإمكانية إعادة البناء، في ثورة تحريرية علمية انطلقت من الصفر، وبإمكانيات بسيطة في وجه أعتى قوة في ذلك الحين وإلى اليوم، والمتمثلة في الحلف العسكري المسمّى بحلف شمال الأطلسي، والمعروف اختصاراً بحلف الناتو (NATO)، فطوال كلّ هذه الفترة الممتدة على طول سبعة قرونٍ من الزمن أو تزيد، لم تكن لا المعرفة ولا البحث العلمي لا سيّما اللغة العربية وضوابطها، ولا إمكانيّاته أو من يفكر فيه موجوداً أصلاً، بل كلّ ما كان آنذاك تفكيرٌ طويلٌ في تحقيق الأمن الغذائيّ الذي عصفت فيه المجاعات بالملايين، وانتشارٌ دوريٌّ للأمراض والأوبئة، وهو تاريخٌ طويلٌ عمل فيه المستعمرون الأوروبيون على كسر كل سببٍ من الأسباب الممكنة لتحقيق أيّ رغبةٍ في إعادة بعث الأمة، فكانت المحاولات العلمية المعزولة في هذه الفترة بالكاد قادرةً على تقليد ومحاكاة ثمار تلك النهضة الحضارية الأوروبية التي كانت تنخر لبّها، وتعمل على نقله والاستفادة منه والبناء عليه وتطويره في بلدانها.

فبعد طول هذه الحقبة التاريخية، التي طال سُبات العرب فيها -ويا ليتّه كان سباتاً وأبقى الدولة العربية على آخر حالها- استيقظت البلاد العربية مع بداية انتشار موجات التحرّر في العالم كما سبق ذكره على واقعٍ لا علاقة له بذلك الواقع الحضاريّ الذي توقفت عليه، فلقد كان انهماكاً كلياً، شكّل هوةً كبيرةً بينه وبين مقابله من الحضارة الغربية، ولذلك نشطت حركات الترجمة والمحاكاة والتقليد إلى العربية، لا سيّما في المجال الأدبيّ الذي خسر أوزان الشعر القديمة بعد أن خسر الأسباب التي أنتجته كلّها، إنّ الأسباب الثقافية، أو العلمية اللسانية، أو من يتلقاها، وظهرت أجناسٌ أدبيةٌ تحاكي الأجناس الغربية مثل الرواية، وانقسم الأدب حسب المذاهب الأدبية الغربية المعروفة، من الكلاسيكية إلى الرومانسية والواقعية وغيرها، حيث لم يعدّ التأليف اللسانيّ أو الأدبيّ يعدو أن يكون مجردّ عربةٍ تجرّها قاطرة الغرب، فلسفةٌ وتوجّهٌ، لا هي أراحت أهلها، ولا هم استفادوا منها.

ومن الأسباب التي ساهمت في تفشي ظاهرة الخطأ اللغويّ في العربية حينها:

- اتّساع الهوة بين اللغة العربية المعيارية القديمة والاستعمال اللغويّ المعاصر، بعد كلّ تلك القرون التي عمل فيها المستعمرون على طمس كلّ معالم الهوية والثقافة العربية وأبعادها وثوابتها ورموزها.

- تأثير الاختراع وتراكماته عبر قرونٍ في خلق معجمٍ لغويٍّ من الاختراعات، لم يكن موجوداً في الثقافة العربية، وبالتالي لم يُوجد لها مقابلاتٌ في اللغة العربية، في زمن كانت ولا تزال "ما تنزج به مخابر الكشوف في الأسواق الدولية من مصطلحات تقنية يبلغ عددها خمسين مصطلحاً في كلّ يوم" (عبد العزيز، 1971، صفحة 211)، وهنا يقف الباحث مُجذّ ضاري حمّادي متسائلاً عن النتائج التي قد تترتب عن ديمومة هذا الحال، وانعكاساته المستقبلية على هوية اللغة

العربية، فيقول: "فلنقف عند هذا العدد قليلاً ولنسأل هذا السؤال: إذا سمحنا لهذه المصطلحات أن تدخل اللغة العربية بصورتها الأجنبية دون أن نضع لها أو لمعظمها المقابلات العربية العلمية... فكم سيكون عدد تلك الألفاظ الدخيلة في لغتنا على مدى قرن واحد من الزمن؟ ثم على مدى قرنين، ثم على خمسة، ثم على عشرة...؟! هذا إذا افترضنا أن العلم لن يتطور وأنّ المصطلحات لن تزداد وأنّ النسبة المذكورة ستظل ثابتة خلال هذه القرون!" (حمادي، 1980، صفحة 283)، وعليه تنامي دخول الألفاظ الأعجمية إلى اللغة العربية، فأصبحت العربية مزيجاً فاقداً للهوية اللغوية العربية، حيث تُعَلِّق الباحثة نفوسة زكريا عن مصير اللغة في حال ما إذا تواصل اكتساح اللفظ الأجنبي المصاحب للاستيراد الصناعي لها، تقول: "أن تصبح مجرد قوالب وصيغ للألفاظ الأجنبية المتدفقة، إذ كيف يكون مصيرها عندما تقول على مذهب أصحاب التوسع في التعريب والاشتقاق من المعرب (اترمت [أي ركبت الترامواي Tramway] إلى أتيل [Hotel أي: فندق] مينا هوس ورجعت متنبلاً [من أوتوموبيل Automobile])" (زكريا، 1964، صفحة 226)، وهو ما أصبح عليه حال لغتنا العامية اليوم بالفعل.

- تنامي الاعتقاد لدى السواد الأعظم من أبناء الأمة بضرورة تبني الثقافة الغربية كخارطة طريقٍ للالتحاق بركبها، والذي بلغ حدّ الانسلاخ من الثقافة العربية وتبني الثقافة الغربية، وهو ما يُفصح عنه الباحث سلامة موسى في قوله: "أنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب، يجب علينا أن نخرج من آسيا ونلتحق بأوروبا. فإني كلما زادت معرفتي بالشرق، زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني. وكلما زادت معرفتي بأوروبا، زاد حبي لها، وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها" (موسى، 1928، صفحة 5)، أمّا عن أسباب هذا الانسلاخ فيذكر الباحث محمد عصفور بأنّ "التأثير يتناسب تناسباً طردياً في العادة مع القوة السياسية والاقتصادية والثقافية لأهل اللغة المؤثرة، وأنه كلما ضعفت القوة السياسية والاقتصادية والثقافية لأمة من الأمم ضعف تأثير لغتها في لغات الأمم الأخرى" (عصفور، 2007، صفحة 196). وهو ما سبقه إليه ابن خلدون رائد علم الاجتماع في مقدّمته، في الفصل الثالث والعشرين، بقوله: "أن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونخلته وسائر أحواله وعوائده" (ابن خلدون، 2004، صفحة 283).

- تراجع وعي المجتمعات العربية بأهميّة ثوابتها الثقافية، بعد كلّ ما عانته من ويلات اجتماعية وغذائية وصحية، فلم تعد أولويّتها، وهو ما عبّر عنه ابن خلدون في مقدّمته في الفصل الرابع والعشرين بقوله: "أنّ الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء". (ابن خلدون، 2004، صفحة 284).

هذا الانقياد والانهمائية النفسية والثقافية، يكون من أوّل نتائج التبعيّة الحضارية الشاملة لا سيّما التبعيّة اللغوية، وهذا بديهي؛ إذ إنّ الأمم عامّة لا تلتفت إلّا لمن يسبقها عسى أن تستقي من علمه ومن خبرته ومساره الحضاري ما يرقم ويقوّي جوانبها وأسسها، لا أن تلتفت لمن يتبعها، إلّا في الحالات التي تبتغي من ورائها فهم هذه الأمم التابعة لتبقيها تحت تبعيّة أكثر فأكثر، وعليه: "ولما كانت الأمة العربية في عصرها الحديث تُصنّف بين الأمم المغلوبة فإنّ من الطبيعي أن يكون تأثير لغتها في اللغات الأخرى ضعيفاً وأن يكون تأثير لغتها باللغات الأخرى قوياً. وبما أن الأمة العربية في هذه

الأيام تقف في الغالب موقف المتلقي وليس المنتج في مجال الثقافة والعلوم فإنها مضطرة للتعامل اليومي في وسائل الإعلام والتعليم مع كم هائل من الكلمات والمفاهيم الجديدة التي ليست لها مقابلات جاهزة في اللغة العربية، والتي يجهد المترجمون في ترجمتها أو تعريبها بدرجات متفاوتة في النجاح من حالة إلى أخرى، بحيث تُغني بعض الترجمات عن قراءة النصوص الأصلية، ازدياد الأصوات والحروف التي تُستعمل فيها أيضاً" (عصفور، 2007، صفحة 196). وعلى هذا الأساس، تفاقمت محنة العربية، وهي تقف في وجه سيل عارٍ من المسميات الجديدة التي لا تتوقف يوماً واحداً.

فلو كانت الجوانب التكنولوجية والعلمية للمجتمعات العربية تقف ندًا لمثيلاتها العربية لكانت قد ساهمت في تخفيف وطأة الهيمنة اللسانية، وبخاصة المعجمية العربية على اللغة العربية، ذلك أن مخترع الشيء يسميه بلغته الأم، ويفرض اسمه بسلطة العلم والسبق كحال الحضارة العربية في زمن العز، التي وفرت لها أصالة التصنيع والمعرفة من الجهد الكثير. رغم أنها لم تغنيها عن تعريب بعض الدخيل، لكن ولأن أركان الحضارة العربية العلمية والصناعية (التكنولوجية) كانت وما زالت شبه منعدمة، كان من نتائجه غزو معجمي رهيب، تستقبل فيه اللغة العربية المفردات تلو الأخرى، فظهرت في الإعلام مصطلحات الراديو والتلفزيون والكمبيوتر والتلفون والفاكس والفيديو والتيكسوك والأنترنت والكاميرا والفونوغراف والتليغراف وغيرها كثير.

وفي الموازين والقياسات كلمات كثيرة أيضاً مثل كيلوغرام، وكيلومتر، وسنتيمتر، ومليمتر، والغالون، والمتر ... والأمر نفسه يسري على كامل المجالات والحقول، وهي من زاوية هوية اللغة العربية ومعاييرها كلها عوامل معجمية مهددة لخصوصية العربية، خاصة تلك التي يتوقر لها مقابلات من معناها في العربية الأصلية، بعد أن جرّت في جُعبتها الكثير من الأصوات الغريبة عن اللغة العربية، والتي أرغمتها على ابتلاعها رغماً عن معاييرها الصوتية الضاربة في عمق تاريخها، ومنها أصوات *G* و *Ch* و *P* و *V*، وصوت الغنة الذي يُنطق *آني* *gne* كما في كلمتي جبل ورفيق في الفرنسية *Montagne* و *Compagne* على التوالي، وغيرها.

ولم يتوقف الأمر عند حدود أصوات المعجم اللغوي، بل تعداه إلى المستويات التركيبية والدلالية، حيث سهّل لها بعض الباحثين العرب طريق التغلغل في العربية، ومنهم الباحث عبد القادر المغربي الذي يقول عنها: "الباب مفتوح للأساليب الأعجمية تدخله بسلام، إذ ليس في هذه الأساليب كلمة أعجمية، ولا تركيب أعجمي، وإنما هي كلمات عربية محضة ركب تركيباً عربياً خالصاً، لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفادوه بتلك الكلمات. ((فقولهم ((طلب فلان يد فلانة)) كلمات عربية مركبة تركيباً عربياً؛ لكننا إذا خاطبنا بها العربي الفصح لم يفهم منها المغزى الأعجمي، وهو خطبة الفتاة؛ وإنما هو اعتاد أن يفهم خطبتها بمثل ((خطب فلان فلانة))" (المغربي، 1947، صفحة 98)، فكان من انعكاساته المباشرة ظهور نصوص لغوية عربية بأساليب ولبنات غريبة غريبة عنها، وفي هذا الصدد يعلق الباحث محمد عصفور على استعمال الباحث عبد العزيز حمودة لكلمة "البنصية" كترجمة لكلمة *intertextuality* بقوله أن "هذه

"البني" مقابل ال inter- تلوي عنق اللغة العربية لتتناسب ظاهرة لغوية في لغة أخرى" (عصفور، 2007، صفحة 199).

إنَّ استفحال ظاهرة "لي عنق" النصوص العربية -بتعبير مُجَدِّ عصفور- بهذه الأصوات والألفاظ والتراكيب الغريبة عنها يضرب له أمثلة أخرى أكثر تجسيدا لتأثيراتها السلبية على روح النصّ العربيّ، ومن أمثلته التلخيص الذي نقله عن الباحث عمر عبد العزيز، والذي كان قد نشره في جريدة الخليج الإماراتية، ويتضمّن حواراً تلفزيونياً جرى مع الناقد السعوديّ عبد الله الغداميّ، الذي "تحدّث فيه عمّا أسماه بـ "الفحولة النسقية الموصولة بالشّعْنة"، وعن "علة العلل في الفكر العربيّ المتشعرن"، و"تغوّل النسق الثقافيّ التاريخي"، والتنويع" على الشعرية بكل مشمولاتها التجويزية واللامنطقية واللامألوفة"، وعن تشخيص الغدامي "لسيكوباتزم النخبة" (عصفور، 2007، صفحة 210).

فهل يمكننا القول عن هذه الأمثلة من التراكيب اللغوية وغيرها كثير أنّها تراكيب لغوية تحمل في طياتها معالم الهوية والثقافة اللغوية العربية وبالتالي معالم الأصالة؟ أم أنّها مجرد قوالب مفرغة من روحها ومقطوعة عن جذورها الضاربة في عمق التاريخ، وأنّها تعاني من خطر التبدّد؟ ومنه: فهل يكفي -بعْد- البُعد اللسانيّ المنحصر داخل حدود أنظمة اللغة لتشخيص واقع اللغة العربية وتحديد رهاناتها المستقبلية؟ وبالتالي هل يمكن عزل العوامل الحضارية بجميع أنواعها عن هذه المهمة؟

5. نموذج مقترح لاستدراك بؤر الهيمنة اللغوية الأعجمية على اللغة العربية، من خلال تصحيح الألفاظ الأعجمية الواردة في هذا البحث:

لقد ورد في ثنايا هذا البحث صنفان من الألفاظ الدخيلة: صنف وارد ضمن اقتباسات البحث من البحوث السابقة التي تشترك معه في مقارنة الموضوع، أو تتقاطع معه في مقارنة بعض أفكاره المطروحة، وتنقسم إلى ضربين؛ فأما الأول فيتعلّق بتلك الألفاظ المعربة بلفظها وأوزانها الأعجمية من قبيل: سيكوپاتيزم، والتكنولوجيا، والكمبيوتر وغيرها، وأما الضرب الثاني فيتعلّق بالأخطاء المصاحبة للترجمة من اللغات المصدر، والتي تزيدها قلة إلمام المترجمين باللغة العربية وبذخائرها المعجمية بعدا عن اللغة العربية المعيارية، وهذان الضربان موضّحان في الجدول الأول من الجدولين المواليين. وصنف آخر مذكور من طرف الباحث، وهو على ضربين أيضا؛ فأما سبب الأول فليشيع اللفظ في العربية وكثرة تداوله، وذلك بسبب الطوفان المعجمي الذي تنامي مع المولّدين، وتغلغل أكثر فأكثر مع ظهور الانفجار العلميّ والمعرفيّ الأوروبيّ، وما رافقه من ثورة صناعية، في مقابل تدهور الأوضاع الحضارية العربية، في العصور التي تلتها كما سبق وأشرنا، وهو غالبا ما يرد بين قوسين للإشارة أو للإحالة على اللفظ المقصود بعد أن نذكر لفظه العربيّ البديل، وأما ضربه الثاني فقد ورد في ثنايا البحث بغية التمثيل والشرح والتوضيح، من قبيل قولنا في العنصر الثالث: "... فظهرت في الإعلام مصطلحات الراديو والتلفزيون والكمبيوتر والتلفون والفاكس..."، وهما موضّحان في الجدول الثاني:

الجدول 1: الألفاظ الأعجمية الواردة في البحث ضمن اقتباسات البحث:

الاقتباس	الألفاظ الدخيلة	بدائلها العربية الأصيلة
"لا شعورية أو في أقصى تقدير فإنها تنبّه عن نفسها عبر مزاجات غامضة، وأحيانا تصبح الهوية مدركة لنا بصورة أقرب للحالة الانفعالية: حين يشعر المرء بالتعب أو بالحزن أو التقلب، أو يكون متوتراً أو محمراً، راض عن نفسه أو فخوراً أو متقائلاً".	-لا شعورية -محمراً	-المعنى النقيض للشعور: الغفلة، السهو، الجهل، السكر... -مترجمة حرفياً عن المصطلح الفرنسي Rougir وما يشق منه، ومن خياراتها وبدائلها العربية: الحياء، الخجل، الاحتشام...
"[...] وتتأثر جميع اللغات الحديثة بأنماط التعبير الرياضية، من خلال لغة التكنولوجيا والكمبيوتر وغير ذلك"	-التكنولوجيا -الكمبيوتر	-التقنية (أبو بكر، 2023)، التطوير، المعرفة... -الحاسوب، المحاسب، حاسب آلي، معالج البيانات، الإعلام الآلي...
العنصر الثاني:		
"فقد كان ابن النديم صاحب "الفهرست" وياقوت الحموي صاحب "معجم الأدباء" و "معجم البلدان" كانا وراقين"	- الفهرست	-المسرد، القائمة، السجل، القيد...
"الصناعات الحربية فحسنا المجانيق وتقدمت صناعة السفن واشتهرت (حران)، بصناعة آلات الفلك كالإسطرلاب [...] والرصاص، والزئبق، والأثمد، والكبريت، وحجر الفتيلة (الأسبستوس) والرخام والحجارة الكريمة تستخرج كلها من باطن الأرض وكان الغواصون يستخرجون اللؤلؤ من الخليج الفارسي واستخدموا النفط والقار في بعض أعمالهم"	-المجانيق -الإسطرلاب -الزئبق -الكبريت - حجر الفتيلة (الأسبستوس)	-القاذف، الراجم، الرامي... -المنظار، المنظار الفلكي، المنظار السماوي... -"والزئبق: الزاؤوق؛ فارسي معرب، وقد أعرب بالهمز، ومنهم من يقوله زئبق، بكسر الباء، فيلججه بالزئبر والضئيل" (ابن منظور، 1968، صفحة 137). -"الكبريت: من الحجارة المؤد بها؛ قال ابن دريد: لا أحسبه عربياً صحيحاً" (ابن منظور، 1968، صفحة 76)، ومن مرادفاته وبدائله العربية كلمة الولالة. -حيث ذكر الباحث الكلمة العربية، ولعدم استيفائها المعنى شرحها بمقابلها الأعجمي الشائع.
العنصر الثالث:		
"أن تصبح مجرد قوالب وصيغ للألفاظ الأجنبية المتدفقة، إذ كيف يكون مصيرها عندما تقول على مذهب أصحاب التوسع في التعريب والاشتقاق من المعرب (اترمت إلى أتيل مينا هوس ورجعت متنبلاً)"	-الترامواي -أتيل -مينا هوس -أوتوميل	-القطار، قطار المدينة، القطار الحضري... -يشيع استعماله في العربية المعاصرة، ومن مرادفاته النزل، المبيت، الإقامة... أما الفندق فدخل أيضاً (ابن دريد، 1987، صفحة 1190). -كلمة مينا اسم علم، أما كلمة هوس (House) فتعني البيت، والمنزل، والدار... -العربة، السيارة، المركبة...
"الفحولة النسقية الموصولة بالشّعْزنة"، وعن "علة العلل في الفكر العربي المتشعرن"، و "تغول النسق الثقافي التاريخي"، والتنوع "على الشعرية بكل مشمولاتها التجويزية واللامنطقية واللامألوفة"، وعن تشخيص الغدامي "لسيكوباتزم النخبة".	-الشّعْزنة -المتشعرن -التجويزية -اللامنطقية -اللامألوفة -سيكوباتيزم	-الشعر، الشعرية... -الشاعري، المتشاعر. (ابن منظور، 1968، صفحة 410) -المجازية، البلاغية، الخيالية... -عكس المنطق كمعنى حديث مستنبط من المعنى الأصلي المشتق من النطق والبال على الكلام وعلمه، يعني العقل والبداهة، والمقبول أو القبول... وعكسه: المرفوض، المردود، النقيض، والفاسد... -الغريب، الدخيل، الموحش، الجديد، الداهم... -معناه الأصلي يدل على مرض عصابي نفسي، ومن مرادفاته في العربية الاختلال والاضطراب العقلي، الهل، الخبل، الجنون...

الجدول 2: الألفاظ الأعجمية الواردة في البحث من باب شيوع الاستعمال أو الشرح والتمثيل:

الألفاظ الدخيلة الواردة	تصحيحها
-الكلاسيكية	-القديمة، العتيقة أو التقليدية... وهي تعني وتشير في سياقها هذا إلى تلك النزعة الأدبية الأوروبية المنشأ، والتي ركزت كتاباتها على طبقة الأثرياء.
-الرومانسية	-الغزلية، الوجدانية، أو العاطفية... وهي تعني وتشير في سياقها هذا إلى تلك النزعة الأدبية الأوروبية التي تجاوزت النزعة التقليدية (الكلاسيكية)، من خلال إعادة الاعتبار للشرائح الاجتماعية الدنيا، وتوسعت في توظيف مكونات الطبيعة كرموز أدبية.
-الراديو	-الإذاعة، السمعي، الموجة، التردد...
-التلفزيون	-عُزِبَ بتلفاز، ومن مرادفاته: الشاشة، السمعي البصري، المرئي، والرائي... (الحربي، 2012)
-التلفون	-الهاتف، المحمول، جهاز الاتصال...
-الفاكس، التليغراف	- والتلغرام... وقد عُزِبَ وشاع تعريبه بـ "البرق".
-الأنترنت	-الشبكة، الشبكية، الشبكة العنكبوتية... (الحربي، 2012)
-الكاميرا	-آلة الصور أو التصوير.
-الفونوغراف	-القارئ الصوتي، الماسح الصوتي، الحاكي. (عبد الرحمان، 2019)
-كيلوغرام	-الكيلو هو المقابل للرقم ألف (1000)، ويمكن تعريبها بناءً على وحدات الوزن العربية المعروفة كالكيل، والوزن، والمثقال أو القيراط، والرطل الأموي، وحجر الزجاج العباسي، والفنيل، والصاع... (وحدات القياس، بلا تاريخ)
-المتر، كيلومتر، الغالون	-قياسات الطول العربية تستند لأعضاء الجسم ومواضعه، كالأنملة، الأصبع، الفتر، الشبر الذراع، الواع، والباع... ويمكن بناء الحساب عليها، كأن نضع الباع كوحدة قياس معربة مقابلة للمتر، فيكون لدينا مئة (100) باع في مقابل مئة متر، وألف (1000) باع في مقابل الكيلومتر وهكذا.
-سنتيمتر	-السنتي هو المقابل لمئة (100) أو Cent اللاتينية، أو بمعنى "واحد من مئة جزء" من وحدة القياس المتر.
-مليمتر	-الميلي نسبة إلى الرقم ألف (1000) أو Mille اللاتينية، بمعنى "واحد من ألف جزء" من وحدة القياس المتر.

إذ ما يلاحظ من خلال قراءة ما في مضامين الجدولين من ألفاظ أعجمية دخيلة هو الارتباط الوثيق لأغلبها بمسمياتها من المصنوعات المخترعة حديثاً في بيئاتها اللغوية الأعجمية، أو المرافقة لحركة الترجمة كانعكاسات لثقافات اللغات الأعجمية المختلفة عن ثقافة وروح اللغة العربية، والمبررة بحق الاشتقاق والتوسع اللغوي المكفول في مصادر اللغة العربية، والذي لا نعتقد البتة بأن نظريته كانوا يقصدون الحق في إهمال الأصل واشتقاق أو نحت الجديد، ناهيك عن توفر البدائل الاصطلاحية العربية الأصلية بكثرة، سواء من تلك التي قدمها الباحثون في إطار مشاريع التعريب والتصدي للهيمنة اللغوية الأعجمية على العربية، أو تلك التي يزخر بها معجمنا العربي الأصيل، وهي بدائل حاولنا أن نستدل عليها من المواقع الشبكية تارة ومن المعاجم تارة أخرى حتى نؤكد على توفرها في متناول يد أي قاصدٍ، ولنؤشّر من جهة أخرى على بعض المواقع والأشخاص الناشطين في الميدان، قصد الإيعاز بمتابعتهم والاطلاع على مجهوداتهم وإثراء مشروع التعريب، لتبقى القضية إذن كما سبق وأشرنا إليه في العنصر الأول مرهونة بالوعي والإرادة الجماعية وبأبعادها الثقافية والحضارية.

6. خاتمة:

في ختام هذا البحث الذي سعى إلى استقطاب الباحثين والمختصين اللسانيين للمساهمة في البحث عن دور العوامل الحضارية الكامنة وراء تفشي ظاهرة الخطأ اللغوي، والتنبيه إليها ولدورها المحوري في فهم ودراسة اللغة، وإلى ضرورة أخذها بعين الاعتبار والتوسع فيها، وبالتالي تجاوز المنهجية القديمة القائمة على أساس ثنائية الخطأ والصواب، تمّ التوصل إلى جملة من النتائج وهي :

- قصور البعد اللساني في تشخيص أسباب تفشي هذه الظاهرة، ليبقى بحاجة إلى أبعاد أخرى غير لسانية كحقوق علم الاجتماع وعلم النفس، والعلوم الصناعية، كعوامل تتناول اللغة على أنها ظاهرة حضارية لها علاقة مباشرة بمستعملها، ترقى برقيتهم وتدثرو وتضعف بضعفهم الحضاري، وذلك في معادلة تكاملية الأبعاد.

فهو بذلك في حاجة إلى هذه الحقول المعرفية للنظر في أسباب الغيبوبة الثقافية والحضارية العربية، ونقص إن لم نقل تدني الوعي الجمعي العربي بالأخطار المعاصرة الخفية وغير المباشرة التي تترتب بالأمة العربية، وهي في حاجة إليها أيضاً لتوفير سبل حشد همم أبنائها، وتوعيتهم بها وبمخاطرها في تسريع وتيرة اندثار اللغة العربية.

- للتخلف العلمي انعكاسات سلبية على تعقيد الظاهرة أكثر فأكثر، فقد ساهم في هيمنة اللغات الصناعية على العربية، إن صوتياً، معجمياً أو أسلوبياً، حيث تعكس قوة المجالات الصناعية العلمية والتكنولوجية أو ضعفها قوة أو ضعف اللغة، خاصة من زاوية الهيمنة المرافقة لعملية استيراد وتصدير السلع والخدمات.

- أن حلول هذه الإشكاليات الحضارية التي تنعكس بصورة مباشرة على معالم هوية اللغة العربية يُوجد في تجاربنا التاريخية؛ تجربة العز الحضاري الإسلامي الأول، وتجربة التصدع والانكسار في عصر الضعف، وتجربة إرادة البقاء وإثبات الذات والوجود في معركتنا المعاصرة ضد المحتلّين، والتي تسببت فيها الفرقة والتهاون والمعازف والملذات، وتخلصت منها الوحدة والأخوة والعزم، وفيها ما يقدم فعلاً إجابات وحلول لهذه الإشكاليات، في كتابات تاريخنا، وكتابات أعلام وعلماء اجتماعنا، لا سيما مالك بن نبي وابن خلدون، وكتابات أدبائنا وشعرائنا العرب القدماء عن المروءة والألفة والعزم والحزم، والغيرة على الأرض والعرض، والحرص على الثوابت والأصول...، وعليه فإن تشخيص ظاهرة تفشي الخطأ اللغوي في اللغة العربية والتكفل بها يجب أن يأخذ منحى جديداً غير المنحى المعياري القديم، من خلال إشراك كل هذه المفاهيم والأبعاد المعاصرة، إذ تبين من خلال طرحنا كيف أثر الانكسار في الوضع المعيشي للعربي، وأدى إلى استعمار مجتمعات أخرى لبلاده، وكيف أصبحت رموزه الثقافية والهوياتية آخر اهتماماته... وبالتالي يتضح جلياً أن مسائل اللغة العربية وقضاياها جزء لا يتجزأ من كلّ وهو المجتمع والدولة، أو بصيغة أشمل القومية العربية بجميع أقطارها وأبعادها، ذلك أن جهود العلماء والباحثين ومجامع اللغة لطالما كانت منذ القدم في الصورة من خلال إسهاماتها في التصدي للظاهرة، لكن جهودهم هذه لم تُغن عن تردّي حال اللغة العربية أكثر فأكثر، وهي التي لطالما اتخذت من المعايير اللغوية الخاصة بأنظمتها منهجاً في دراستها.

ولقد خلصت الدراسة بعد البحث في الموضوع، وتبيّن دور المجالات الحضاريّة غير اللّسانيّة المختلفة التي تناولها، وأهمّيّتها في فهم هذا الموضوع، يوصي الباحث بضرورة توسيع مجال البحث في أسباب الظاهرة، ليتجاوز البعد اللّسانيّ ومجالّي الوعي الفرديّ والجمعيّ بالثقافة والهويّة والصّناعة والتّكنولوجيا التي تناولها إلى مجالات أخرى، كالعملة، ومخاطر الدّعاية الإعلاميّة والتكالب الغربيّ على الوطن العربيّ، وتردّي المستوى المعيشيّ، والوعي الجماعيّ بالمجال السياسيّ والتاريخيّ وغيرها، ودورها في تعقيد واقع اللّغة العربيّة، ومنه انتشار ظاهرة الخطأ اللغويّ، والتي نعتقد بأنّ زيادة الوعي بها، وبالمخاطر التي تُحدّق بها وبأبنائها، يزيد من دافعيتهم نحو الاهتمام بها، بغية الحفاظ عليها، وعلى رابطتها القوميّة التي لطالما كانت دعامةً أساساً في وحدة العرب وتضامنهم رغم الوضعيّة الصعبة التي يعيشونها، عسى أن يشكّل هذا الوعي بها وبمشاكلها أساساً صلباً ترتكز عليه، أساساً تعي من خلاله مجتمعاتها ذاتها، وتعني مشاكلها ومخاطرها وما يتربّص بها، وتنطلق منه نحو مستقبلها، ما سيكون حتماً سبب رقيّها وإعادةّها إلى سابق عهدها.

7. قائمة المراجع:

القرآن الكريم .

ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمان بن مُجَد. (2004). المقدمة. دمشق: دار يعرب.

ابن دريد، أبو بكر مُجَد بن الحسن. (1987). جمهرة اللغة. بيروت: دار العلم للملايين.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري. (1968). لسان العرب. بيروت: دار صادر .

أبو بكر، محمود. المؤتمر القادم وتكريم اللسان العربي. موقع الجمعية الدولية لأقسام العربية، (دون تاريخ)، تم الاطلاع عليه

بتاريخ: 2023-11-22، على الرابط :

https://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=3866

البطوش، أيمن عمر عبد الله. (2015). الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني (247-

334هـ. / 861-945م). جامعة مؤتة، الأردن.

بنعبد الله، عبد العزيز. (جانفي 1971). تطور الفكر العلمي ولغة التقنيات بالمغرب منذ العصور الوسطى. مجلة اللسان

العربي. م 8، ج 1 (ع 8)، الصفحات 196-211.

الحري، عبد العزيز بن علي. الفتوى رقم (138). موقع منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العلميّة، منشور بتاريخ

2012-08-06، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2023-11-22، على الرابط-a- : [https://www.m-a-](https://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=351)

[arabia.com/vb/showthread.php?t=351](https://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=351)

حمادي، مُجَد ضاري. (1980). حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث 1850-1978. بغداد: دار الرشيد للنشر.

داغر، أسعد خليل. (2012). تذكرة الكاتب. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي.

ريكور، بول. (1999). الوجود والزمان والسرد. بيروت: المركز الثقافي العربي.

سلامة، موسى. (1928). اليوم والغد. د م ن: سلامة موسى للنشر والتوزيع.

العاني، خليل نوري مسيهر. (2009). الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية. بغداد: ديوان الوقف السني.

عصفور، مُجَد حسن مُجَد. (جوان-2007). تأثير الترجمة على اللغة العربية. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية

والإنسانية، م 4 (ع 2)، الصفحات 195-216.

علي عبيد، رشا السر. (2017). النهضة الحضارية في العصر العباسي الأول (132هـ-232هـ) (750م-897م).

جامعة الجزيرة، السودان.

كوزن، باتر. (2010). البحث عن الهوية «الهوية وتشبثها في حياة إيريك إريكسون وأعماله». العين: دار الكتاب

الجامعي.

مُجَدِّ، عبد الرحمان. كل ما تريد معرفته عن جهاز الفونوغراف في ذكرى اختراعه؟. موقع اليوم السابع، منشور بتاريخ 16-06-2019، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 01-12-2023، على الرابط: س-وج-كل-ما-تريد-معرفته-عن-جهاز-الفونوغراف-في
<https://www.youm7.com/story/2019/6/16/4287883/>

المغربي، عبد القادر بن مصطفى. (1947). الاشتقاق والتعريب. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
موقع أحاديث الرسول ﷺ، موقع مسند أحمد، (دون تاريخ). تم الاطلاع عليه بتاريخ: 23-11-2023، على الرابط :
<https://hadithprophet.com/hadith-13185.html>

نفوسة، زكريا. (1964). تاريخ الدعوة إلى العامة وآثارها في مصر. الإسكندرية: دار نشر الثقافة.
هارلبس، هولبورن. (2010). سوشيولوجيا الثقافة والهوية. دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.
وحدات القياس (دون تاريخ). موقع المعرفة، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 30-11-2023، على الرابط :
https://www.marefa.org/%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AA_%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%B3